رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 81- سورة التوبة | الأية 04

عبدالرحمن العجلان

ثم قال جل وعلا عقب ذلك الا تنصروه فقد نصره الله. اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة - 00:00:00

الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم الا تنصروه الا الا تقوموا بنصره. نصر محمد صلى الله عليه وسلم الا تنصروه ان هذه شرطية الا يحصل منكم نصر - 00:00:22

اين جواب الشرط اذا لا يصح ان نقول فقد نصره الله لان هذا شيء مضى وانتهى مضى وسبق الا تنصروه جواب الشرط دل عليهما قوله فقد نصره الله جواب الشرط - 00:00:50

دل عليه قوله فقد نصره الله. وما تقديره اذا؟ الا تنصروه فسينصره الله فقد نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار الا تنصروه الان فسينصره ربه فليس في حاجة اليكم - 00:01:15

وليست هذه اول مرة ينصره فيها ربه جل وعلا. فقد نصره في مواطن كثيرة ومواقف مشهودة واماكن تجلى فيها نصر الله جل وعلا لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم رأي عين في مواقع - 00:01:42

في يوم الهجرة وفي يوم بدر وفي يوم حنين وفي مواطن كثيرة الا تنصروه فسينصره الله نصره فيما سبق الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا. من المراد بالكفار هنا - 00:02:07

كفار قريش كيف اخرجوه طردوه بالسلاح تواطؤوا على ذلك واتفقوا حينما رأوا امره صلى الله عليه وسلم يظهر ويشتهر وامن به من امن من اهل المدينة اجتمعوا في دار الندوة - 00:02:41

وحضر معهم ابليس عليه لعنة الله وتواطؤوا وتشاوروا ماذا يفعلون به وقال قائل منهم نوثقه ونحبسه في بيت ولا نطعمه الا ما يسد رمقه حتى يموت ونستريح من شره وقال ابليس ليس هذا برأي يأتي قومه ويفكونه - 00:03:09

قال اخر اذا من فيه يطرده البرية يذهب حتى يموت ويهلك فقال ابليس ليس هذا برأي انكم سمعتم كلامه وعرفتم حلاوة منطقه وحسن بيانه وسحره للناس فاذا نفيتموه وجد من يؤمن به فاتى بهم اليكم - 00:03:43

وقال ابو جهل عليه لعنة الله الرأي عندي هو ان نختار عشرة من شبان قريش كل شاب من فخذ من قريش ويتربص به هؤلاء العشرة فاذا خرج عليهم ضربوه ضربة رجل واحد - 00:04:13

فيتفرق دمه في القبائل بنو هاشم من ان تطالب او تحارب الجميع فتطلب الدية فتعطى ما تشاء من الاموال وقال ابليس عليه لعنة الله الرأي ما رأى هذا الفتاة وهذا الرأي لو نفذوه لو نفذ لكن الله جل وعلا منعه - 00:04:35

قدرة الله جل وعلا فوق كل شيء ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فتربص به هؤلاء العشرة وجلسوا على بابه وهو في بيته ينتظرون خروجه ليضربوه ضربة رجل واحد عشرة شبان كل واحد معه سيف جيد - 00:05:03

ومتحمسين لهذا ومهتمين هل تظن ان يفلت من ايديهم الا بقدرة الله ونصره جل وعلا فخرج عليهم عليه الصلاة والسلام وذر على رؤوسهم التراب واحدا واحدا وعبر ليلة الهجرة وخرج صلى الله عليه وسلم كما توعد - 00:05:26

مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه وخرج الى غار فلما اصبح هؤلاء الشباب نظروا يريدون محمدا لقتله فاذا علي على فراشه وقد

اتاهم ات فقال لهم اخزاكم الله مر عليكم محمد وذر على رؤوسكم التراب وما رأيتموه - 00:05:56
وكل واحد رفع يده الى رأسه فوجد التراب على رأسه مر عليهم التراب ولم يروه وهم متربصون به وهو يتلو عليه الصلاة والسلام فجعلنا وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فارشيناهم فهم لا يبصرون فما ابصروه عليه الصلاة والسلام - 00:06:24
وخرج صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر الصديق وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه قد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم من قبل بالهجرة فقال له انتظر لعل - 00:06:47
ان يكون لك رفيق فقال اوترجو ان يؤذن لك؟ قال نعم. عليه الصلاة والسلام فانتظر ابو بكر رضي الله عنه واخذ يعلف راحلتين اعدهما لهجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:07:03
فلما جاءه الاذن جل وعلا من ربه جاء الاذن من الله جل وعلا لعبده محمد صلى الله عليه وسلم خرج تلك الليلة وكان قد تواعد مع رجل خريج من بني الديلم - 00:07:22
يدله على الطريق وهو كافر لكنه وثق به عليه الصلاة والسلام فكان محل ثقته مع كفره وذهب عليه الصلاة والسلام وجلس في غار ثور ثلاثة ايام عليه الصلاة والسلام قادر - 00:07:39
في امر الله جل وعلا ونصره وتأييده ان يخرج عيانا بيانا ضحى ولا يبالي بكفار قريش ولكنه اراد صلى الله عليه وسلم ان يعلم امته ويعطيهم الدروس في الحيطة واخذ الحذر - 00:08:04
وفعل الاسباب مع الاتكال على الله جل وعلا وقادر عليه اي الصلاة والسلام ان يخرج عيانا بيانا لا يداري احد ولكنه خرج صلى الله عليه وسلم وبقي في غار ثور ثلاثة ايام - 00:08:23
وغلام لابي بكر معه غنم يأتي بها عشاء يمر عليهم في الغار ويسقيهم من لبنها ويأتيهم عبد الله ابن ابي بكر يبيت عندهم ويسمع في النهار ماذا تقوله الكفار ما لا يقوله الكفار فيعطيهم فيأتيهم بالخبر - 00:08:49
وابو بكر رضي الله عنه كان رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة وكان رضي الله عنه حينما خرج من مكة ليلا يمشي احيانا امام النبي صلى الله عليه وسلم - 00:09:26
واحيانا يمشي خلفه فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام ما لك يا ابا بكر قال يا رسول الله اذكر الطلب فامشي خلفك اريد ان اتى طالب ان يصيبه هو اولا عن النبي صلى الله عليه وسلم - 00:09:46
واذكر الرصد فامشي امامك تريد ان تكون الضربة به رضي الله عنه فلما وصل الى الغار اقسم على النبي صلى الله عليه وسلم بالا يدخل حتى يدخل هو وينظر فيه - 00:10:06
وينظفه فدخل ابو بكر رضي الله عنه الى الغار ثم اذن للنبي صلى الله عليه وسلم بالدخول وجلسا فيه وجاء الطلب حتى وقفوا على باب الغار وقف كفار قريش لان كفار قريش جعلوا لمن اتى - 00:10:25
النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر او باحدهما من اتى بهما حيين او ميتين مئة من الابل اشتد الطلب من كفار قريش ومن غيرهم ممن يريد هذه الجائزة والمكافأة العظمى - 00:10:44
وتبعوا اثرهما حتى وصل الى الجبل وصل الباحثون الى الجبل فصعدوا عليه ووقفوا على باب الغار ونسجت العنكبوت بامر الله جل وعلا على باب الغرب فلم يطل فيه احد منهم. والرسول صلى الله عليه وسلم وابو بكر في الغار ويخاطبه ابو بكر يقول يا رسول الله لو نظر احدهم - 00:11:06
الى موضع قدمه لابصرنا. يعني لو نزل طرفه لو انزل بصره لرآنا ما بيننا وبينه الا قليل وقال الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر لا تحزن ان الله معنا - 00:11:37
ما ظنك باثنين الله ثالثهما لن يغلب ولن يقهر ولن يمسى بسوء باذن الله وهذا ما دلت عليه هذه الاية الكريمة في قوله جل وعلا الا تنصروه فقد نصره الله - 00:11:55
اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار ثور واما غار حراء فكان فيه عليه الصلاة والسلام في مبدأ البعثة يتعبد هناك اذ هما

في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا - 00:12:20
اذ يقول من هو؟ محمد صلى الله عليه وسلم لصاحبه من؟ ابو بكر الصديق رضي الله عنه الا تنصروه فقد نصره الله. اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين جملة الكلمة الثانية اثنين في محل الحال - 00:12:44
لانها بمعنى منفردا الا من ابي بكر فهي حال وان الا تنصروه فقد نصره الله ان اخرجه الذين كفروا فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا اذ هنا ظرفية لماذا - 00:13:05
للظمير في او اخرجه لانها كلها تعود الى النبي صلى الله عليه وسلم اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما الرسول وابو بكر في الغار اذ يقول لصاحبه لان ابو بكر رضي الله عنه حزين - 00:13:29
وقلبه يرجف لا خوفا على نفسه رضي الله عنه وارضاه. ولكن خوفا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم ان امت مات رجل واحد - 00:13:52
وان مت يا رسول الله هلكت الامة ومات الدين يقول موتي رضي الله عنه لا يظير الناس شيئا ولكن موتك هلاك للامة هلاك للعقيدة للتوحيد الايمان بالله الرسول صلى الله عليه وسلم مطمئن القلب - 00:14:09
لانه واثق بنصر الله جل وعلا انه الثقة الكاملة بان الله ناصره ولم يمسه سوء لا في هذا الغار ولا في غيره عليه الصلاة والسلام ولكنه فعل هذا الفعل ليعلم امته - 00:14:36
عليه الصلاة والسلام اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا. لا تخف ولا يصيبك الحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها - 00:14:56
فانزل الله سكينته الطمأنينة والانس وذهاب الوحشة والخوف عليه على من الجمهور على انها على ابي بكر الصديق رضي الله عنه لان السكينة مع الرسول صلى الله عليه وسلم من اول - 00:15:23
فلم تفارقه ولم يصبه خوف عليه الصلاة والسلام عليه فانزل الله سكينته عليه على صاحبه على ابي بكر الصديق رضي الله عنه وايده يعود الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا جائز في اللغة العربية. ان يذكر اثنان - 00:15:46
ثم تعود الظمائر بعضها على الاول وبعضها على الثاني فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وايده اي ايد الرسول صلى الله عليه وسلم بجرود لم تروها وهم الملائكة - 00:16:11
لانهم على الغار يحرسون النبي صلى الله عليه وسلم من الكفار ان الله معنا ما هذه المعية معية حفظ وتأييد ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي الاية الاخرى - 00:16:36
ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم. ولا خمسة الا هو سادسهم. ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم. اينما كانوا اذا المعية معيتان معية خاصة بالمؤمنين - 00:17:06
ومعية عامة بجميع الخلق المعية الخاصة لقوله جل وعلا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي مثل هذه الاية لا تحزن ان الله معنا والمعية العامة كقوله جل وعلا ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من - 00:17:25
ولا اكثر الا هو معهم ما الفرق بين المعية الخاصة والمعية العامة المعية الخاصة معية النصر والتأييد والحفظ ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والمعية العامة معية الاحاطة والاطلاع - 00:17:53
فهو جل وعلا محيط بخلقه ومطلع عليهم. مع المؤمنين ومع الكفار مطلع على اعمال هؤلاء وهؤلاء لا تخفى عليه خافية لكن معية النصر والتأييد لمن؟ للمؤمنين لا تحزن ان الله معنا - 00:18:19
وفي هذا فضيلة لابي بكر الصديق رضي الله عنه لا يعدلها شيء ان الله معنا مع من مع الرسول صلى الله عليه وسلم ومع ابي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما - 00:18:44
الاثنان منهم ابو بكر مع الرسول عليه الصلاة والسلام والله جل وعلا ثالثهم هذه فضيلة لم يدركها احد من الصحابة رضوان الله عليهم جميعا وقال العلماء من انكر صحبة ابي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم كفر بالله العظيم - 00:19:10

ومن انكر صحبة غيره من الصحابة المعروف صحبتهم فهو مبتدع ليس بكافر ما الفرق بينهما لان من انكر صحبة ابي بكر وقد كذب القرآن فهو كافر بلا اشكال من كذب باية من القرآن كفر - 00:19:36

ومن انكر صحبة غير ابي بكر من الصحابة ابتدع ولا يقال له كافر فانزل الله سفينته عليه وايده ايد النبي صلى الله عليه وسلم بجرود لم تروها في هذه الموقعة وفي غيرها من المواقع الاخرى - 00:20:00

وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وجعل كلمة الذين كفروا السفلى كلمة الذين كفروا كلمة محلها من الاعراب مفعول جعل جعل كلمة الذين كفروا السفلى. ما المراد بكلمة الذين كفروا؟ قيل - 00:20:26

الشرك والكفر وقيل ما قالوه من مناداتهم وانتصارهم اعلوا هبل ونحوها من الكلمات الكافرة جعل كلمتهم سفلى هي العليا. كلمة هنا مبتدأ. وليست معطوفة كلمة على كلمة وانما عطف جملة على جملة عطف جملة اسمية على جملة - 00:20:46

فعلية وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله كلمة كلمة مبتدأ والاسم الكريم مضاف اليه هي ضمير فصل لا محل لها من الاعراب وقيل مبتدأ والعليا خبره والجملة من المبتدأ والخبر خبر - 00:21:18

المبتدأ الاول الذي هو كلمة واذا قلنا ان هي كلمة ضمير فصل لا محل له من الاعراب. تكون كلمة كلمة الله مبتدأ والعليا وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم - 00:21:51

العزيز القوي الغالب الذي لا يضام ولا يرد له امر يفعل ما يشاء جل وعلا ويحكم ما يريد العزيز والله عزيز حكيم لان العزة والقوة في الادميين قد تحمله على التصرف غير المعقول اتكالا على - 00:22:14

قوته وغلبته فيتصرف تصرفا غير لائق والله جل وعلا مع قدرته وقوته فانه حكيم في افعاله يضع الاشياء مواضعها والله عزيز حكيم. وكثيرا ما يقرن جل وعلا بين هذين الوصفين. والله - 00:22:46

الله عزيز حكيم ليدلان على القوة التامة وعلى الحكمة ووظع الشيء موظعه وان القوة قوته لم تحمله جل وعلا على تصرف غير مناسب. فهو جل وعلا قوي يضع الاشياء مواضعها حكيم في افعاله. في اقواله في تدبيراته في خلقه سبحانه - 00:23:11

وتعالى بسم الله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار. اذ يقول معروف الغار هو الثقب في الجبل - 00:23:47

الثقب الواسع في الجبل اذا اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول. او ما اخرجوه. وانما تصرفوا تصرفا خرج بسببه عليه الصلاة والسلام اخرجوه يعني بسوء تصرفهم الذي تصرفوه. وارادوا ان يفعلوه. نعم - 00:24:09

الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار. اذ يقول لصاحب لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها. وجعل - 00:24:38

الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا. والله عزيز حكيم. يقول العماد قال العماد ابن رحمه الله تعالى يقول تعالى الا تنصروه اي تنصروا رسوله فان الله ناصره نؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين. هذا من ابن كثير رحمه الله - 00:24:58

بيان لجواب الشرط تنصروا رسوله فان الله ناصره اي عام الهجرة لما هم المشركون بقتله او حبسه او نفيه فخرج منهم هاربا صحبه صدق صحبة صحبة صديق صحبة صديقه وصديقه صديقه وصاحبه ابي بكر ابن ابي قحافة. فلجأ الى غار ثور ثلاثة - 00:25:28

ليرجع الطلب. الذين خرجوا في اثارهم ثم يسيروا نحو المدينة. فجعل ابو بكر نبوية حكيمة لانهم لو خرجوا من حين ان خرجوا من مكة لوجده الطلب لان الطلب ذهبوا في كل مكان - 00:26:00

اكن عليه الصلاة والسلام في هذا الغار ثلاثة ايام حتى ييأس المشركون من وجوده ثلاثة ايام كفيلة بان يذهب من يريده ويبحث ويعود ما يجد احدا. ثم بعد ذلك يخرج عليه الصلاة والسلام. وخرج عليه الصلاة والسلام - 00:26:22

لحقه من لحقه سراقة بن مالك لحقه ووقف عليه فساخت قوائم فرسه في الارض وعجز ان يمس الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه بسوء ثم امنهم ودنا منهم وخاطبهم وخاطبوه - 00:26:47

وعرض عليهم القرى وعرض عليهم الزاد والمزاد فلم يقبل منه الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا خرج من اجل الظفر بهم فلما رأى قدرة الله جل وعلا وانقاذه لرسوله صلى الله عليه وسلم يقول عرفت ان امره سيظهر لا محالة - 00:27:07

فعرض عليهم الزاد فلم يقبلوا منه شيئا. بدل ما كان يخرج لقتلهم عرض عليهم الضيافة ثم طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب له كتاب حتى لانه عرف ان الله مظهره - 00:27:31

احب ان يكون هذا الكتاب بيده حينما يظهر امر النبي صلى الله عليه وسلم يأتي به ويعرضه عليه. ويذكره بموقفه ذلك فلجأ الى غار ثور ثلاثة ايام ليرجع الطلب. الذي خرجوا في اثارهم ثم يسيروا نحو المدينة. فجعل - 00:27:50

ابو بكر رضي الله عنه يجزع ان يطلع عليهم احد. فيخلص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم اذى على النبي صلى الله عليه وسلم يسكنه ويثبته ويقول يا ابا بكر ما ظنك باثنين - 00:28:13

ثالثهما كما قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا همام انبأنا ثابت اما انا ثابت عن انس ان ابا بكر حدثه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو ان احدهم - 00:28:33

نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه قال فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ اخرجاه في الصحيحين ولهذا قال تعالى فانزل الله سكينته عليك اي تأييده ونصره عليه اي على الرسول صلى الله - 00:28:53

عليه وسلم في اشهر القولين. وقيل على ابي بكر وروي عن ابن عباس وغيره قالوا لان الرسول صلى الله عليه وسلم لك لا تزال معه سكينة لم تزل معه. يقول ابن عباس رضي الله عنه السكينة مع الرسول صلى الله عليه - 00:29:13

وسلم لكن انزال السكينة هذه على ابي بكر هذا رأي ابن عباس رضي الله عنه والقول الاخر انها على الرسول صلى الله عليه وسلم وانما وانما هي زيادة زيادة السكينة - 00:29:33

والا فقد كانت معه. نعم. لم تزل معه سكينة وهذا لا ينافي تجدد سكين. سكينة خاصة بتلك الحال ولهذا قال وايده بجنود لم تروها اي الملائكة وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا - 00:29:50

قال ابن عباس يعني بكلمة الذين كفروا الشرك. وكلمة الله هي لا اله الا الله. وفي الصحيحين عن ابي الاشعري رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل - 00:30:10

ويقاتل رياء. اي ذلك في سبيل الله؟ فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في الله وقوله والله عزيز اي في انتقامه وانتصاره منيع الجناب لا يضام من لاذ من لاذ ببا - 00:30:30

واحتمى بالتمسك بخطابه حكيم في اقواله وافعاله - 00:30:50